اثر التعليم الشرعي في تعزيز الجانب الأخلاقي في المجتمع

✍ د. علي عبد الله محمد الحسين (★)

مقدمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وبعد:

فهذا البحث يتناول جانبا مهما من الجوانب الحياتية ذات الصلة بالآخرة، وهو التعليم الشرعي وبيان أثره في تعزيز الجانب الأخلاقي في المجتمع، هذه المقدمة إضاءة عن محتويات البحث، وموجز عن الموضوعات التي سيتناولها.

يستفتح البحث في فصله الأول بتعريف للمصطلحات التي يشملها العنوان، وهي: (التعليم الشرعي، والأخلاق، والمجتمع)، وذلك كمدخل علمي يعين القارئ على تصور الموضوع، وأبعاد المساحة التي يشملها البحث، ومحاوره ، وهذا بناء على أن الحكم على الشيء فرع عن تصوره.

ثم يعرض البحث في فصله الثاني للأخلاق الإنسانية، وحاجة الناس إلى نظام أخلاقي يسيرون عليه حفاظا على استمرار الحياة، وأداء الواجبات، وحفظ الحقوق واستكشاف مكنونات الكون، خاصة وقد تنبه الفلاسفة والمفكرون منذ القدم إلى أهمية الأخلاق وضرورتها، وقدموا فيها النظريات والرؤى التي تعززها وترسخها

(★) أستاذ مساعد بكلية الشريعة والقانون بالجامعة .

في الأفراد والجماعات، وكذلك جاءت الأديان بالتعاليم التي تؤكد أهمية الأخلاق للأفراد والمجتمعات، وأشادت نظامها على القيم الإنسانية النبيلة، وربطتها بالوحي وحضت أتباعها على الأخذ بها لتنال السعادة الكاملة .

ويتناول البحث في فصله الثالث التعليم الشرعي والحاجة إليه في تعزيز الأخلاق، وبيان الأثر المترتب على فقده، والحاجة الماسة والملحة للأخذ به، من قبل كل الناس بصفة عامة، وللمسلمين بصفة خاصة، وللمجتمع والفرد بصفة أخص.

وفي سبيل توضيح الصورة، وبيان حاجة الناس إلى التعليم الشرعي كرافد من روافد تعزيز الأخلاق في المجتمع كان لا بد للبحث في فصله الرابع من ذكر محاولات لبعض المصلحين المعاصرين الذين هدفوا لإقامة نظام أخلاقي عالمي، يتواطأ الناس عليه بغض النظر عن تعدد أجناسهم واختلاف ألوانهم وتنوع عقائدهم وأديانهم، وبيان الإشارات التي تبين أن التعليم الديني عامة يعتبر مرجعية مهمة في هذه المنظومة العالمية من الأخلاق، سيما تعاليم الأديان السماوية التي هي من عند الإله الحق عز وجل، وهي التعاليم التي تتوافق مع الفطر السليمة، والمجتمعات التي لم تلحقها لوثات الانحراف عن الفطرة .

الفصل الأول

التعريف بمصطلحات البحث الأساسية

أولا: مفهوم التعليم الشرعي:

الحديث عن التعليم الشرعي يرتبط بفكرة انقسام العلوم إلى محسوسة قابلة للتجربة وهي العلوم الإنسانية(الاجتماعيات والإنسانيات)[1]، والعلوم الطبيعية(التطبيقية)[2]، وأخرى غير محسوسة لا تقبل التجربة وهي علوم الدين. هذه الفكرة التي سادت الغرب في القرن السادس عشر الميلادي، فأدت إلى فصل العلوم الإنسانية والعلوم الطبيعية عن الدين، باعتبار أن الدين يقدم تفسيرات غيبية للظواهر الكونية أو الطبيعية ويربطها بالخالق، فهي علوم لا تخضع للتجربة، بخلاف العلوم الإنسانية والطبيعية التي تعطي تفسيرات محسوسة وعلمية تخضع للتجربة ولا تحتاج للخالق، وبالتالي انحصر مفهوم العلم في الغرب في العلوم الطبيعية والإنسانية .

وأما في العالم الإسلامي الشرقي فمن الناس من يظن أن التعليم الذي يؤدي إلى النجاح هو التعليم الديني وحده، أو التعليم الشرعي، وقصروا مفهوم التعليم

(١) العلوم الإنسانية أو الدراسات الإنسانية هي مجموعة من التخصصات العلمية التي تدرس الإنسان والنواحي المختلفة من النشاط البشري، وتشمل تخصصات عديدة منها: الأدب وفروعه، والفلسفة، والأديان، والقانون، و الفنون، التاريخ، والسياسة والاقتصاد...إلخ

(٢) من العلوم الطبيعية:الفيزياء ، والكيمياء ، والأحياء ،والفلك، والجيولوجيا (علم الأرض)..

الشرعي(الديني) على تخصصات الشريعة، بينما المنهج الإسلامي يربط بين العلوم مجتمعة، سواء أكانت خاضعة للتجربة أم لا، فكلها علوم دينية أو شرعية[١].

يتجلى ذلك في آيات الكتاب وأحاديث الرسول ﷺ، والتي اتسع فيها مفهوم العلم منذ افتتاح نزول القرآن بآيات العلم كقوله تعالى: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ﴾[٢]، ومرورا بغيرها من الآيات التي شمل مفهوم العلم فيها الآفاق والأنفس[٣]، ولم يقتصر هذا المفهوم على التخصصات الشرعية وحدها فحسب .

وبناء على هذا فإن مفهوم التعليم الشرعي المراد هاهنا مفهوم واسع، يشمل

---

(١)ومن الأدلة على هذا المفهوم أن الله سبحانه وتعالى امتدح العلماء في سياق آيات سورة فاطر التي تتحدث عن العلوم الطبيعية من نحو إنزال المطر، وإخراج الثمرات، والجبال البيض، والحمر مختلفة الألوان، الناس والدواب الإنعام...إلخ، امتدحهم بقوله تعالى: "إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ " ٢٧،٢٨ مع أن السياق ليس فيه أي إشارة إلى علوم دينية، فدل ذلك على أن العلم سواءً كان في الطبيعة أو العلوم الإنسانية أو غيرها فهو في حقيقته تدبر في آيات الله المبثوثة في الآفاق وفي الأنفس، وبالتالي يغدو مثل هذا العلم فريضة، لأنه بهذا المفهوم الواسع وسيلة الإيمان، فهو إذا علم شرعي.

(٢) سورة العلق، الآيات ١-٥.

(٣) من ذلك مثلا قوله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ ﴾ سورة فصلت ٥٣، حيث أشارت إلى الترابط بين الدين والعلوم الطبيعية ومؤداهما إلى الإيمان وإلى معرفة الله تعالي.وقوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ ﴾ سورة الرعد/١١. وقوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ سورة الأعراف، آية٩٦، وقوله تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠ ﴾ سورة الحج، آية٤٠. وقوله تعالى: ﴿ أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ ﴾ سورة الروم، آية٩.

تعليم العلوم الشرعية: وهي العلوم التي لها صلة بالإسلام عقيدة وشريعة، فيدخل تحت هذا الصنف العلوم الغيبية المتعلقة بعالم الغيب من الجنة والنار والحساب، وتفاصيل ذلك، كما يدخل فيه علوم الشريعة التي تبين طبيعة الأحكام التشريعية من حيث الحلال والحرام والمباح. وهذا النوع من العلوم لا تكتسب عن طريق العقل، وإنما عن طريق الوحي والخبر الصادق من النبي ، وتسمى أيضًا بالعلوم النقلية.

كما يدخل في مفهوم التعليم الشرعي أيضا العلوم التطبيقية، وهي العلوم التي تعتمد على التجربة والملاحظة عن طريق الحواس، مثل علم الرياضيات والفيزياء والطب والهندسة وغيرها .ومادة هذه العلوم من عالم الشهادة، أي من الكون وما فيه من الجماد والنبات والماء والسهول والجبال. وهذا النوع من العلوم تكتسب عن طريق العقل واستقرائه للأشياء، فيكون حرًا طليقًا مع هذه العلوم، بشكل لا يتصادم مع ثوابت العقيدة. فمصادر التلقي والتشريع في الإسلام يجمع بين جميع العلوم والمعارف، وفيها من الحقائق العلمية والتاريخية ما لم تسبق إليها البشرية من قبل، كما أن فيها كل فنون الأدب والبلاغة، وأخبار الأمم السابقة والغيبيات اللاحقة وغيرها من المعارف.

ولابد من الإشارة هنا إلى أن التعليم التجريبي وحده لا ينتج أخلاقاً وقيما ذات أثر فاعل في واقع الإنسان، ذلك لأن العلم التجريبي يحتاج إلى قيم الدين وأخلاقه ونظامه وأوامره ونواهيه، إذ أن الدين لاينتج عن خبرات البشرية المتراكمة فحسب، بل يعتمد اعتمادا أساسيا على القيم الإلهية الصادرة من الإله الحق، الذي

يعلم سر الإنسان وخفاياه، وسر الكون ومغاليقه، ويعلم الحاضر والمستقبل، وما ينفعه وما يضره، وهذا هو الذي تفتقر إليه العلوم التجريبية، ولا يمكنها من إدراكه إلا من خلال قيم الدين، وتعاليمه العليا.

ثانيا مفهوم الأخلاق:

الأخلاق في اللغة جمع خلق بضم اللام وسكونها - والخلق اسم لسجية الإنسان وطبيعته التي خلق عليها، وهو مأخوذ من مادة (خ ل ق) التي تدل على تقدير الشيء، وكون صاحب الخلق جدير به لقدرته عليه، فهو خليق به[1]. قال تعالى ممتدحا رسولنا ﷺ: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[2]، أي أدب عظيم، وهو أدب القرآن الذي أدبه الله به وهو الإسلام وشرائعه[3]. وعن عائشة- رضي الله عنها- عند ما سئلت عن خلق رسول الله ﷺ قالت: «كان خلقه القرآن»[4]، ووصف القرآن الكريم خلقه ﷺ بأنه عظيم لعلو همته ﷺ، إذ لم تكن له همة سوى الله سبحانه وتعالى، ولاجتماع مكارم الأخلاق فيه، ولامتثاله تأديب الله إياه .

وحقيقة الخلق أنه انعكاس لصورة الإنسان الباطنة وهي نفسه وأوصافها

(١) انظر: مقاييس اللغة لابن فارس ٢/ ٢١٤، دار الجيل ، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م المفردات للراغب الأصفهاني : (ص ١٥٨). تحقيق: نديم مرعشلي ، بيروت: لبنان دار الفكر للطباعى والنشر والتوزيع.

(٢) سورة القلم، الآية ٤ .

(٣) وفرق القرطبي بين ما جبل عليه المرء من الخلق، وبين ما كان مكتسبا له، فما جبل عليه من الخلق يسمى خيما، وهو الطبع والسجية، وما اكتسبه المرء يسمى خلقا ، لأن صاحبه أخذ به نفسه حتى صار كالخلقة فيه ، انظر: تفسير الطبري، مجلد١٢، جزء ٢٨، ص ١٣ (ط. الريان)، تفسير القرطبي ج ١٨ ص ٢٢٧. بيروت: لبنان، دار الفكر.

(٤) أخرجه أحمد : (٩١/٦) برقم : (٢٤٦٤٥) تحقيق : شعيب الأرنؤوط وجماعة .بيروت: لبنان، مؤسسة الرسالة، ط٢.

ومعانيها المختصةُ بها، بمنزلة الخَلْق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها، ولها أوصاف حسَنة وقبيحة، والثوابُ والعقاب يتعلّقان بأوصاف الصورة الباطنة أكثر مما يتعلقان بأوصاف الصورة الظاهرة. والخلق هو ما يأخذ به الإنسان نفسه من الأدب لأنه يصير كالخلقة فيه، وأما ما طبع عليه الإنسان من الأدب فهو الخيم (بكسر الجيم)، أي السّجية والطبع، وعلى ذلك يكون الخلق: الطبع المتكلف أوالمكتسب، والخيم الطبع الغريزي، وقد أوضح الأعشى ذلك في شعره فقال:

وإذا ذو الفضول ضنّ على المو ... لى وعادت لخيمها الأخلاق أي رجعت الأخلاق إلى طبيعتها [1].

أما في الاصطلاح فقد عرف الجرجاني الخلق بأنه: " عبارة عن هيئة للنفس راسخة، تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كان الصادر عنها الأفعال الحسنة كانت الهيئة خلقا حسنا، وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة سمّيت الهيئة التي هي مصدر ذلك خلقا سيئا، وإنما قلنا إنه هيئة راسخة لأن من يصدر منه بذل المال على الندور بحالة عارضة لا يقال خلقه السخاء ما لم يثبت ذلك في نفسه"[2].

وقد أشار ابن القيم إلى أن أصل الأخلاق المذمومة كلها الكبر والمهانة

(١) تفسير القرطبي ج١٨ ص٢٢٧.
(٢) التعريفات للجرجاني :ص ١٠٤ بيروت: لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

والدناءة، وأصل الأخلاق المحمودة كلها الخشوع وعلو الهمة[1].

ثالثا: مفهوم المجتمع:

لفظ مجتمع في اللغة مشتق من جَمَعَ، والجمع ضم الأشياء المتفقة، وضده التفريق والإفراد. وعلى هذا فمفهومه في اللغة أنه موضع الاجتماع. أو الجماعة من الناس[2].

أما في الاصطلاح فقد تعددت تعريفات المجتمع، فمنها تعريفات عامة تنطبق على أي مجتمع إنساني مهما كانت عقيدته أو جنسه أو لونه وغير ذلك من الصفات الأخرى التي روعيت في تعريف المجتمعات، ومنها ما هو خاص بمجتمع معين، فمن التعريفات العامة للمجتمع:

"المجتمع هو ذلك الإطار العام الذي يحدد العلاقات التي تنشأ بين الأفراد الذين يعيشون داخل نطاقه، في هيئة وحدات، أو جماعات"[3].

وعرفه آخرون بأنه "مجموعة من الأفراد تقطن على بقعة جغرافية معينة، محددة من الناحية السياسية، ومعترف بها، ولها مجموعة من العادات والتقاليد، والمقاييس والقيم، والأحكام الاجتماعية، والأهداف المشتركة المتبادلة التي أساسها

(١) انظر: الفوائد، لابن القيم ص ١٩٧ بيروت: لبنان، دار الكتب العلمية ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٣ – ١٩٧٣م.

(٢) لسان العرب، لابن منظور، جـ٢/ص٣٥٧ طبعة دار إحياء التراث العربى ، المعجم الوسيط، لأنيس إبراهيم وآخرين، جـ١/ص١٣٦.

(٣) دراسة المجتمع، لمصطفى الخشاب، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، د. ط. ١٩٨٧م، ص٧.

الدين، واللغة، والتاريخ، والعنصر"[١].

وعرف أيضا بأنه "العلاقات بين الأفراد في حالة تفاعل مع منظمات وجمعيات لها أحكام وأسس معينة"[٢].

وقد اشترط بعض علماء الاجتماع أن تتوفر شروط في الجماعة حتى يطلق عليه مجتمع ومن هذه الشروط: أن يعيش أفراده معا فترة طويلة، وأن تكون الارض بمساحة بحيث يمكن أن يعيشوا فيها، وأن تحدد العلاقات الاجتماعية بينهم ويشعروا جميعا بالوحدة[٣].

أما فيما يتعلق بالتعريفات الخاصة فنذكر منها هنا تعريف المجتمع المسلم، والذي تعددت فيه التعريفات أيضا والتي منها:

"إنه ذاك المجتمع الذي تميز عن المجتمعات الأخرى بنظمه الخاصة، وقوانينه القرآنية وأفراده الذين يشتركون في عقيدة واحدة، ويتوجهون إلى قبلة واحدة، وإنه يتكون من أقوام متعددة وألسنة متباينة، ولهذا المجتمع خصائص مشتركة، وألسنة مباينة وأعراف عامة، وعادات موحدة"[٤].

وعرفه آخرون بأنه "خلائق مسلمون في أرضهم مستقرون، تجمعهم رابطة الإسلام، وتدار أمورهم في ضوء تشريعات إسلامية وأحكام، ويرعى شئونهم ولاة

(١) بناء المجتمع الإسلامي، لعبد الله مبارك الفرج، ص٨.
(٢) المرجع السابق ، ص٨.
(٣) المرجع السايق ص٩.
(٤) المجتمع الإسلامي، لمحمد أمين المصري، ، الكويت: دار القلم، ط٤، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، ص١٧.

أمر منهم وحكام"[1]

فقد روعيت هنا حيثيات معينة، وصفات منتخبة للمجتمع المسلم، وكلها بمجموعها يمكن أن تكون تعبيرا عن هذا المجتمع، لذا يمكن أن نستخلص منها الصفات الأساسية في المجتمع المسلم، وهي أنه مجتمع رباني، حددت أهدافه ورسمت ملامحه واستمد تنظيمه من نصوص الشريعة الإسلامية السمحة وأحكامها، التي جاء بها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وبالتالي فليس من الضروري إذاً أن تكون هناك أرض معينة لهذا المجتمع، وليس من الضروري أن يعيش أفراده معاً لفترة طويلة، وأهدافهم ومصالحهم ليست مشتركة، بل هي واحدة، وليس للعادات أو التقاليد، أواللغة أو التاريخ، أو العنصر دخل في تكوين هذا المجتمع، بل إنه يقبل كل من آمن بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبيا ورسولا[2] .

(١) الإسلام وبناء المجتمع الإسلامي، لحسن عبد الغني أبو غدة وآخرون، الرياض: مكتبة الرشد، ط٢، ١٤٢٧ هـ-٢٠٠٦، ص١٤.

(٢) انظر: الإسلام وبناء المجتمع، إعداد مجموعة من أعضاء هيئة التدريس بجامعة الملك سعود بالرياض، الإسلام وبناء المجتمع، للدكتور. أحمد بن محمد العسال، طبعة دار القلم، الثانية، بدون سنة طبع.

الفصل الثاني

الأخلاق الإنسانية، وحاجة الناس إلى نظام أخلاقي

مما هو معروف أن الإنسان لا يمكن له أن يعيش إلا في إطار مجتمع، يمارس من خلاله نشاطاته الطبيعية المتعددة التي تلبي احتياجاته الجسدية والروحية، فكما هو مشهور لدى الحكماء أن الإنسان مدني بطبعه، وتقتضي حياة الجماعة أن يكون هناك نظام، يرعاه الأفراد ويحافظون عليه من أجل أن تستمر الحياة، كما قال ابن خلدون: "الاجتماع ضروري للنوع الإنساني، وإلا لم يكمل وجودهم وما أراده الله من اعتمار العالم بهم واستخلافه إياهم ، وهذا هو معنى العمران الذي جعلناه موضوعا لهذا العلم"[1].

وحاجات الأفراد متنوعة: فهناك الحاجة إلى الأكل والشرب، كي يعيش الفرد، والحاجة إلى الجنس كي يبقى نوعه، والحاجة إلى إثبات وجوده كي يبقى ذكره، ولا يمكن للأفراد تحقيق حاجاتهم إذا انفرد كل واحد منهم دون مشاركة الآخرين، لأن كل حاجة من تلك الحاجات تتطلب سلسلة من الأعمال، ومنظومة متكاملة من المجهود تعمل معا لتوفير الحاجة بكفاية ودوام. فتحصيل الغذاء مثلا يحتاج إلى معونة من زراعة وحصاد وطحن وعجن وإنضاج وغير ذلك من سلسلة الأعمال، وحاجة الدفاع عن النفس من المعتدين، تفتقر إلى الاستقواء بالغير، وإعداد السلاح، وتحصين المواقع، وهكذا بقية الاحتياجات الأخرى كلها يحتاج فيها الإنسان إلى الغير ليتعاون معه في توفير متطلبات كل حاجة من الحاجات المتعددة، وبالتالي

(١) مقدمة ابن خلدون، ص٣٥ ،

ضرورة العيش في جماعة.

وتقتضي الأواصر الاجتماعية وجود أنظمة ترعى البعد الفردي والبعد الجماعي في المجتمع، والتي تتطلب من الأفراد مراعاتها، والحفاظ عليها، وحمايتها، لأن في ذلك استمرار للمجتمع، وبالتالي دوام استمرار حاجات الفرد والاطمئنان إلى وفرتها، وفوق كل هذا وذاك إعانة الإنسان على أداء الدور الذي خلق من أجله وهو عمارة الكون، واستكشاف مكنوناته، وتفجير الطاقات الكامنة في داخله.

ومن هذه الأنظمة النظام الأخلاقي، الذي يوصف بأنه النظام الذي يمثل قيم المجتمع، وعاداته وتقاليده وأشواقه الروحية وعقيدته، ويعبر عن أفراده وجماعاته وما ينشدونه ويتكاتفون لتحقيقه.

فالأخلاق تمثل الدعامة المتينة لحفظ الأركان الداخلية للمجتمع وكياناته المتعددة، إذ ترتفع بها النفوس إلى مراتب الكمال، ويستطيع الأفراد من خلالها إعطاء المفهوم الحقيقي للإنسانية، وأنها جانب مهم من جوانب شخصية الإنسان لأنها تؤدي وظيفة كبيرة في تحديد سلوك الفرد وأسلوب تفاعله الاجتماعي وعلاقته بالآخرين وعلاقة الآخرين به، فهي مصلحة اجتماعية تظهر من خلال تفاعل الأفراد فيما بينهم؛ هدفها الأساس هو تعضيد العلاقات الاجتماعية والمساهمة في تحسين تكيف الفرد مع نفسه ومع الآخرين، كما أنها تسهم في السيطرة على نوازع الإنسان وتعديلها وتجعل المجتمع متوازناً وثابتاً فبدونها لا يمكن لأي مجتمع أن

ينهض أو يزدهر ولا أن يأخذ بأسباب الحضارة وتطورها وقطع أشواطٍ بعيدة فيها.

إن عدم وجود نظام أخلاقي في المجتمع يقود إلى الظلم، وسير الغرائز الإنسانية في مسارات خاطئة غير صحيحة فتتصادم مع بعضها البعض، ويأكل القوي فيها الضعيف، وتفتقد العدالة، وتختل الموازين، ولا توضع الأمور في مواقعها الصحيحة، فينهار نظام المجتمع وفقا لسنة المجتمعات وقانون الهلاك الرباني، قال تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴾[1]، وقال تعالى﴿ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴾[2].

والنظام الأخلاقي يستمده الإنسان من مصادر متنوعة، فقد يكون مصدر الأخلاق الدين - أيا كان الدين بحق أو الدين بباطل - وقد يكون العقل البشري بقدراته وطاقاته، وقد يكون الضمير البشري بعواطفه وانفعالاته، أو المجتمع بعاداته وأعرافه، وقد يكون مصدرها قيمة السعادة والمنفعة، وقد يكون غير ذلك من المصادر الأخرى.

هذا النظام الأخلاقي يساعد الأفراد على الحفاظ على العلاقة بين الجماعات وأفرادها، مثله ومثل القانون، إلا أن النظام الأخلاقي يكون بتأثير عوامل من داخل الضمير ومن داخل النفس، بينما القانون يكون بتأثير عوامل خارجية من خارج

(١) سورة الإسراء، الآية ١٦.
(٢) سورة الكهف، الآية ٥٩.

النفس، الفعل الأخلاقي مصدره المبادئ والقيم والمُثُل المغروسة في النفوس، دون قسر أو إكراه خارجي عليه، ويسعى لتحقيق الخير ومقاومة الشرِّ، وتجسيد الفضائل، وتجنب الرذائل، وبلوغ أسمى المستويات الإنسانية. وهو يتميَّز عن القانون بطابعه الإرادي والرغبة الداخلية فيه، رغم أن غايتهما قد تكون واحدة.

والأخلاق في الأصل تعتبر معيارا للسلوك، سواء أكان السلوك سلوكا حميدا أم سلوكا سيئا، والإنسان مركوز في فطرته السلوك الحميد، كالصدق والأمانة والشجاعة والمروءة وغيرها من الأخلاقيات الحميدة، وقد عبر عن ذلك الرسول ﷺ بقوله: (كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء)[1]، فأوضح أن سلامة القلب من النقص كسلامة البدن وأن العيب حادث طارئ. زاد مسلم: (ثم قال أبو هريرة واقرؤوا إن شئتم: ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ﴾[2]. وفي الحديث القدسي أن النبيﷺ قال: "قال الله تعالى: إني خلقت عبادي حنفاء، فاجتالتهم الشياطين وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا"[3].

أما السلوك السيئ أو الأخلاق السيئة فهي الصفات السالبة المضادة للصفات

(١) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب: إذا سلم الصبي فمات رقم (١٣٥٩). ومسلم كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة رقم (٦٦٩٧).
(٢) سورة الروم، الآية ٣٠.
(٣) رواه مسلم في كتاب الجنة ، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار

الحميدة، ولأن الأخلاق تعتبر معيارا، وتلعب دورا مهما في حياة الأفراد والجماعات فقد كان الاهتمام بها عبر الحقب التاريخية المتعددة، وتناولها المفكرون والحكماء بالتحليل والدراسة وببيان آثارها، وقد جاءت بعد ذلك الديانات لتؤكد أهمية الأخلاق، وأهمية النظام الأخلاقي في المجتمع، وضرورة السلوك الحميد.

ففي الحضارة اليونانية برز السوفسطائيون بفكرة نسبية الأخلاق، وأنها تتغير بتغير الزمان والمكان، وفسروا قوانين الأخلاق بأنها ضد طبائع البشر. وأن الإنسان غايته اللذة، وأن الطبيعة البشرية ليست سوى شهوة وهوى، وأن الإنسان لن يكون سعيدا إذا خضع لقانون، وأن الضعفاء والدهماء الذين فشلوا في إشباع أهوائهم سنوا هذه القوانين لقهر الطبيعة وكبح دوافعهم، حتى يتساوى معهم الأقوياء في الحرمان، كما أنهم أرادوا بقوانين الأخلاق حماية مصالحهم الشخصية وتفادي الخضوع لسيطرة الأقوياء، ورأى السوفسطائيون أن الفضائل التي تعارف عليها الناس ليست سوى رذائل مقنعة. فتجمد العفة مرجعه إلى العجز عن إشباع الشهوة ، وامتداح العدل مرده القصور عن التفوق على الآخرين. ولذا فعلى الإنسان أن يستخدم ذكاءه في إشباع شهواته وتحقيق سعادته ، حتى لو اقتضى الأمر أن يتخفى ويتظاهر بالتقوى والاستقامة.

ثم جاء سقراط[1](٣٩٩-٤٦٩ ق م) ليجعل العقل هو مبعث الأخلاق، فألغى

(١) سقراط فيلسوف ومعلم يوناني، جعلت منه حياته وآراؤه وطريقة موته الشجاعة، أحد أشهر الشخصيات التي نالت الإعجاب في التاريخ. صرف حياته تمامًا للبحث عن الحقيقة والخير. لم يترك سقراط أية مؤلفات، وقد عُرفت معظم المعلومات عن حياته وتعاليمه من تلميذيه المؤرخ زينوفون

بذلك ردها إلى سلطة خارجية تتمثل في الآلهة أو العرف أو غيرها مما كان متعارفاً عليه آنذاك. كما أنه جعل قواعد الأخلاق ثابتة غير متغيرة، وجعل مقياس الخير والشر لا يتوقف على مصالح الناس، كما أنه صالح لكل زمان ومكان.

ومشى أفلاطون[1] (٤٢٧ ق.م - ٣٤٧ ق.م) على درب أستاذه سقراط، لكنه كان يرى أن هناك عالمين: عالم المحسوسات (وهو عالم المادة وعالم الشر)، وعالم العقل (وهو عالم المثل وعالم الخير). فمن تبع العقل ارتفع إلى عالم المثل، عالم

والفيلسوف أفلاطون، بالإضافة إلى ما كتبه عنه أريسطوفانيس وأرسطو. وُلد سقراط وعاش في أثينا. وكان ملبسه بسيطًا. وعُرف عنه تواضعه في المأكل والمشرب.. كان سقراط يعلم الناس في الشوارع والأسواق والملاعب. وكان أسلوب تدريسه يعتمد على توجيه أسئلة إلى مستمعيه، ثم يُبين لهم مدى عدم كفاية أجوبتهم. قُدّمَ سقراط للمحاكمة وُوجهت إليه تهمة إفساد الشباب والإساءة إلى التقاليد الدينية. وقد قضت هيئة المحلّفين بثبوت التهمة على سقراط وأصدرت حكمها عليه بالإعدام. ونفذ الحكم بكلّ هدوء متناولاً كوبًا من سم الشوكران.وكان سقراط يؤمن بأن الأسلوب السليم لاكتشاف الخصائص العامة هو الطريقة الاستقرائية المسماة بالجدلية؛ أي مناقشة الحقائق الخاصة للوصول إلى فكرة عامة. وقد أخذت هذه العملية شكل الحوار الجدلي الذي عرف فيما بعد باسم الطريقة السقراطية. انظر: موسوعة المعرفة، موسوعة عربية حرة على الانترنت، تأسست في ١٦ فبراير ٢٠٠٧.

(١) هو أفلاطون بن أرسطن بن أرسطوقليس: ولد في أثينا من أسرة عريقة غنية ذات شأن في السياسية والملك والحكمة، تثقّف ثقافة واسعة حيث تعلم الرياضة والشعر، واطلع على المذاهب الفلسفية، ولما بلغ سن العشرين تعرف على سقراط، فلازمه وتتلمذ عليه مدة ثمانية أعوام، نقل خلالها الكثير من أفكاره وتعاليمه، والتي تركت بدورها أثرًا كبيرًا في حيانه وتفكيره الفلسفي. وبعد موت أستاذه سقراط غادر أفلاطون أثينا إلى ميغاري، وأقام بها عند الفيلسوف إقليدس، الذي أسس مدرسة فلسفية في هذه المدينة، ثم غادرها إلى مصر التي درس فيها الرياضة دراسة وافية، واطلع على علومها وديانتها، ثم غادر مصر إلى إيطاليا، وهناك تعرف على الفيثاغورثيين ودرس مذهبهم. لقد جمع أفلاطون من خلال رحلاته وتنقلاته بين ثقافات الشرق والغرب الأمر الذي أسهم في فلسفته التي جاءت متعددة الجوانب الفكرية ومتعددة الموضوعات، ومما جعل فلسفته تمتاز عن فلسفة الذين سبقوه من اليونانيين؛ إذ تناول في فلسفته الطبيعة وما وراء الطبيعة، والإنسان والقيم والمثل والسياسة والمدنية ... وغير ذلك من موضوعات فلسفية.ثم رجع أفلاطون إلى أثينا، وبها أنشأ مدرسته الفلسفية، التي كانت تطل على حديقة" أكاديموس "أحد أبطال اليونان، فسميت لذلك بالأكاديمية، وقد جعلها دينية علمية تدرس فيها جميع العلوم وأقام فيها معبدًا، وظل يعلّم فيها ويكتب أربعين سنة، وقد أقبل عليها الطلاب رجال ونساء، يونان وأجانب، وظل فيها إلى أن توفي سنة ٣٤٧ ق.م.

الخير، ومن اتبع هواه غرق في عالم الرزيلة عالم الشر، وعلى هذا فعلى الإنسان أن يحرر نفسه باستئصال شهواته وتحرير نفسه من قيود الجسد وذلك باتباع عقله والسمو في مجال المعرفة العقلية. ولا يكون هذا إلا بسلوك حياة الزهد والحرمان.

أما أرسطو[1] (٣٨٤-٣٢٢ ق م) فهو أول من أفصح عن أن الأخلاق علم عملي يجب أن يكون له هدف وغاية، وغايته هو الخير الأعظم، وأن الفضيلة قسمان: فضيلة أخلاقية تكتسب بالتربية والتعود، وفضيلة عقلية تكتسب بالتأمل.

وكان للديانات السماوية موقف واضح من الأخلاق، وذلك في اعتبارها عنصرا أساسيا في اعتقاد المرء، وفي ربط قيم السماء بقيم الأرض، وربط الحياة الدنيا بالآخرة، فالديانة المسيحية ترى أن على الإنسان التحلي بالأخلاق الحسنة والابتعاد عن الأخلاق السيئة لأنه سوف يحاسب على أعماله يوم الحساب، كما عبر عن ذلك الإنجيل على لسان السيد المسيح عليه السلام بأنه في يوم القيامة سوف

(١) أرسطو: فيلسوف ومعلّمٌ وعالم يونانيّ يُعتبر، هو وأستاذه أفلاطون، أهم فيلسوفين بين جميع فلاسفة اليونان القدماء .ولد أرسطو في بلدة ستاجيرا شماليّ اليونان. وعندما بلغ الثامنة عشرة من عمره، التحق بأكاديمية أفلاطون في أثينا، وظل فيها لمدة ٢٠ عامًا ولم يغادرها إلا بعد موت أستاذه أفلاطون عام ٣٤٧ق.م .وفي عام ٣٤٣ أو ٣٤٢ق.م، استدعاه فيليب ملك مقدونيا؛ لتعليم وتربية ابنه الذي عُرف في التاريخ باسم الإسكندر الأكبر. عاد أرسطو إلى أثينا عام ٣٣٤ق.م، وأنشأ مدرسته المعروفة باسم الليسيوم .وقد أطلق على أرسطو وتلاميذه اسم المشائين لأن أرسطو كان يُلقي دروسه أثناء المشي والتجوال بصحبة تلاميذه.بعد موت الإسكندر الأكبر في عام ٣٢٣ق.م. رمى الأثينيون أرسطو بتهمة عدم احترام الآلهة. وخوفًا من مصير سقراط، هرب أرسطو إلى مدينة كلسيس (اسمها حاليًا كلكيس)، حيث مات هناك بعد عامٍ واحد.تنقسم مؤلفاته إلى ثلاث مجموعات: ١ -المؤلفات الشعبية (وهي مؤلفات للجمهور خارج مدرسته، وقد فقدت كلها) ٢- المذكرات (وهي تصنيفات من مواد البحوث والسجلات التاريخية أعدَّها بمساعدة تلاميذه؛ لتكون مصدرًا للمعلومات التي يحتاجها العلماء، وقد بقي القليل منها) ٣- المقالات. (وهي للطلاب داخل المدرسة فقط، وهي الوحيدة التي سلمت من الضياع وبقيت حتى الان).

"يجازى كل أحدٍ بحسب أعماله "[1]، وجاء السيد المسيح عليه السلام بالكثير من التعاليم السمحة، والتي تحث أتباع المسيحية بالإقبال على الله، والتحلي بالأخلاق الحميدة، وربط ذلك بالله.

أما الديانة اليهودية فتنظر إلى أهمية الالتزام بالقوانين الأخلاقية التي أعطاها أله إلى بني إسرائيل عن طريق موسى عليه السلام والتي سميت بـ"الوصايا العشر"[1]التي تنظم سلوك الإنسان وتدفع به للقيام بالأعمال الصالحة، وهذه الوصايا هي محور الديانة اليهودية، وتوجد الوصايا العشر كذلك في الديانة المسيحية[2]، حيث إن بين الديانتين من الارتباط ما لا يخفى، وكذلك في الإسلام هناك وصايا عشر[3] .

اهتم كذلك الدين الإسلامي الحنيف اهتماما بالغاً بالأخلاق والسلوك المطابق لها، فقد وردت الكثير من الأحكام الأخلاقية في آيات القرآن الكريم، أو الأحاديث

---

(1) أنا الرب الهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية لا تكن لك آلهة أخرى أمامي، (٢) لا تصنع لك تمثالا منحوتاً، و لا تسجد لهن، ولا تعبدهن لأني أنا الرب إلهك، (٣)لا تنطق باسم الرب إلهك باطلا، لأن الرب لا يبريء من نطق باسمه باطلا، (٤) اذكر يوم السبت لتقدسه، ستة أيام تعمل وتصنع جميع عملك، وأما اليوم السابع ففيه سبت للرب إلهك، لا تصنع عملا ما أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك بهيمتك ونزيلك الذي داخل أبوابك، (٥) أكرم أباك وأمك لكي تطول أيامك على الأرض التي يعطيك الرب إلهك، (٦)لا تقتل، (٧) لا تزن، (٨) لا تسرق، (٩) لا تشهد على قريبك شهادة زور، (١٠) لا تشتهي بنت قريبك، ولا تشتهي امرأة قريبك، ولا عبده، ولاأمته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئا مما لقريبك.

(٢) اعتقد معلمو النصرانية في القرن الثالث الميلادي أن الله سبحانه وتعالى قد طبع الوصايا على ضمير كل إنسان، حتى قبل أن تنقش على ألواح موسى، ومنذ بداية القرن الخامس الميلادي اهتم كل من يعتنق النصرانية بحفظ الوصايا العشر عن ظهر قلب، ثم غدت هذه القوانين في القرن التاسع الميلادي جزءًا أساسيًا من تعاليم الكنيسة .وقد اعتبر علماء النصارى من القساوسة والرهبان، هذه الوصايا العشر هي المبادئ الأساسية لقانون العالم الطبيعي الذي يحكم سلوك الإنسان. وقد ضمنها مصلحو البروتستانت في القرن السادس عشر الميلادي في تعاليمهم الدينية الشفهية.

(٣) وهي المذكورة في سورة الأنعام الآيات ١٥١ ــ ١٥٣

الواردة في السنة النبوية الشريفة على لسان النبي الكريم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، والتي كان يجسدها في أفعاله وسلوكه مع الآخرين، قال الله تعالى ممتدحا رسولنا ﷺ: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (١). وقد أكد صلى الله عليه وآله على إن نشر التعاليم الأخلاقية من الأهداف الأساسية التي بعث من أجلها كما في قوله ﷺ: " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق "(٢)، وغير ذلك من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة التي تؤكد على إن حسن الخلق سبباً لرقي الإنسان إلى ذروة الكمال في الدنيا، ودخول الفرد إلى الجنة في الآخرة.

وهكذا نجد أن الأخلاق نظام مهم في حياة الناس بإطلاق، من حيث حفظ حقوق الأفراد والجماعات وأمنهم، ومن حيث عمارة الكون واستكشاف مكنوناته، أكد على ذلك الواقع التاريخي لمسيرة الحضارات عبر التاريخ، وواقع حياة الناس وعيشهم في المجتمعات المختلفة، ورعايتهم لنظام الأخلاق الإنساني مع اختلاف الزمان والمكان والأحوال، كما أكدت عليها الديانات السماوية، حيث تضمنتها تعاليم هذه الديانات، وممارسة الأنبياء وأتباع الرسل، وجاءت بالتعاليم التي تؤكد أهمية الأخلاق للأفراد والمجتمعات، وأشادت نظامها على القيم الإنسانية النبيلة، وربطتها بالوحي وحضت أتباعها على الأخذ بها لينالوا السعادة الكاملة في الدارين، وينالوا رضاء المولى عز وجل.

(١) سورة القلم، الآية ٤.
(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد ، رقم ٢٧٣ .

الفصل الثالث

التعليم الشرعي والحاجة إليه في تعزيز الأخلاق

من أهم أهداف خلق الإنسان بناء أسس للحياة الإنسانية، والمحافظة عليها وعلى استمراريتها وديمومتها، وهي التي تفسر بعمارة الكون،عمارة حسية وعمارة معنوية، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[1]، فالإنسان مستخلف في هذه الأرض ليعمرها ويبنيها ويبحث فيها ويكتشف أسرارها من اجل تسخير الطاقات الكامنة فيها لأعمار الكون وبنائه، وهو يسير لتحقيق الخلافة من خلال محورين: محور تحقيق العبودية لله تعالى، وهو يرتبط بحركة ذاتية داخل الإنسان وتتصف بالثبات، ومحور تحقق سيادة الإنسان على الكون، وهو يرتبط بحركة خارجية يقودها العقل، لذا تتصف بتغير مستمر لواقعه الخارجي، وكلا المحورين يضبطهما الوحي. ومحور سيادة الإنسان على الكون يكون بالعلم والمعرفة والتدبر في الكون لاكتشافه، فيدير الإنسان عقله في أرجاء الكون، وينظر فيما حوله وفي آثار السابقين له، فيتعلم ويكتشف، وبالتالي يعمر ويبني ويصين اكتشافاته في الكون ويرعاها لتنمو وتزدهر وتتصل في حلقات

(١) سورة البقرة، الآية٣٠.

بعضها مع بعض، مهما تعاقبت الأجيال وهو معنى قوله تعالى:﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ ﴾[1]، أي يخلف بعضكم بعضا.

وهنا يبرز دور التعليم الشرعي الذي سبق أن أوضحنا مفهومه في مستهل هذا البحث، هذا النوع من التعليم يتسم بسمات عديدة من شأنها تعزيز الجانب الأخلاقي في المجتمع، والإسهام بصورة فاعلة فيه، والنهوض بتفكير أفراده، وتحسين حياتهم بحيث تربطهم بقيم عليا تظل على الدوام الهدف والغاية التي يسعى إليها أفراد المجتمع، فمن أهم هذه السمات:

[١] وحدة مصدره:

والمقصود بذلك أن التعليم الشرعي مصدره واحد، وهو الوحي بقسميه: الكتاب والسنة، وهو مصدر قوي، موثوق به في أعلى درجات الثقة، إنه من عند الله العليم الخبير،﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾[2]، إنه خالق البشر وفاطرهم، والعالم بحاجاتهم وأشواقهم، الذي وضع لهم هذه المصادر لتكون لهم هدى ورحمة، في تحقيق المنافع ودرء المفاسد.

وينجلي أثر هذه الخصيصة في عدد من الجوانب المهمة في تعزيز الجانب الأخلاقي في المجتمع، من أهمها وضوح الرؤية واستبانة الهدف وتحديد الغاية، وذلك في كل مجالات الحياة، سواء أكان في العلوم الشرعية المحضة، أو غيرها

(١) سورة الأنعام، الآية ١٦٥.
(٢) سورة الملك، الآية ١٤.

من العلوم الأخرى، فلا مجال مع هذا المصدر للتخبط والاحتمالات أو التخمين والظنون بل طريق واضح جلي، السائر فيه ثابت لا يتلقى عن غيره أبدا.

ويدل على هذه الخصيصة قول الرسول ﷺ: (تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنتي)[1]، وهي إشارات واضحة في كلمات نبوية قوية إلى الوثوق في هذين المصدرين والتزامهما دون سواهما.

ويدل عليه أيضا ما حدث بين عمر بن الخطاب رضي الله عنه بين يدي رسولنا ﷺ حيث أتى النبي ﷺ عمراً رضي الله تعالى عنه وعنده كتاب أصابه من بعض أهل الكتاب، فغضب النبي ﷺ من فعل عمر رضي الله عنه وقال: أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب؟ والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذّبوا به، أو بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده، لو أن موسى ﷺ كان حيا ما وسعه إلا أن يتبعني) [2] ومعنى: أمتهوكون فيها، أي أمتحيرون فيها.

وهذا يدل على أن النبي ﷺ لا يريد أن يكون هناك أي احتمال لمشاركة مصادر أخرى حتى وإن كانت كتبا سماوية سابقة، فإن من إفرازات هذه المشاركة الحيرة، واهتزاز الثقة، والتهاون في التمسك بالمصدر الأساس، خاصة وأن مصادر

(١) رواه الإمام مالك في الموطأ،كتاب القدر. باب النهي عن القول في القدر، حديث رقم ٤٦٠ .قال ابن عبد البر في التمهيد: (معروف مشهور عن النبي ﷺ عند أهل العلم شهرة يكاد يستغني بها عن الإسناد) ج٢٤ ص ٣٣١.

(٢)حديث صحيح ، رواه أحمد في مسنده ج٣ ص ٣٨٧ ، وحسنه الألباني في الإرواء حديث رقم١٥٨٩.

الديانات السماوية الأخرى قد أصابها التحريف، وامتدت إليها أصابع العبث، ولحقها البلى بعد الوحي على النبي الخاتم، كما أكد ذلك ابن عباس رضي الله عنه حين قال:"كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي أنزل الله على رسوله أحدث الكتب بالله، تقرأونه محضا لم يُشب، وقد حدثكم أن أهل الكتاب بدلوا كتاب الله، وغيروه، وكتبوا بأيديهم الكتاب، وقالوا هو من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا، ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم، لا والله ما رأينا منهم رجلا يسألكم عن الذي أنزل عليكم"(١).

لا شك أن مثل هذه العبارات القوية، والرؤية الواضحة، والثقة الشديدة تبعث على الارتباط بمصدر الوحي وحده دون غيره بحيث لا يلتمس معه أي مصدر آخر، فهو وحده مبعث الثقة، ومظنة الحق، ولا يدانيه في ذلك أي مصدر، حتى وإن كان من الكتب السماوية السابقة، والتي ثبت أنها كلها حرفت وبدلت. والالتزام بهذا المصدر التزام بكل ما ينجم عنه وما يترتب عليه من ممارسات أخلاقية، ومن شأن ذلك الرقي بحياة المجتمع وحياة أفراده، وارتباطها بالمصدر، فيبعث فيها الطمأنينة، ويجلي للأمة أهدافها، ويشد قلوب بعضها إلى بعض.

[٢] التعليم الشرعي تعليم نفع وخير:

إن التعليم الشرعي تعليم نافع، يقدم الخير لكل فرد من أفراد المجتمع، تعليم مسخر لخدمة الإنسان أيا كان، من أجل عمارة الكون، لا هدمه وتخريبه، إنه تعليم

(١) أخرجه البخاري، حديث رقم ٧٥٢٢

تتصل فيه السماء بالأرض، والحياة الدنيا بالآخرة، حتى إنه ليسأل عنه حين موته: " إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاثة: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له"(١).

لقد كان من دعاء النبي ﷺ: " اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن دعوة لا يستجاب لها"(٢).

العلم الذي لا ينفع قد يأتيه عدم النفع من حامله لا من العلم نفسه، وقد لا يكون في حامله النفع لكن العلم في نفسه غير نافع، يدل على هذا أن القرآن الكريم قد نعى على أقوام آتاهم الله علما نافعا في نفسه لكنهم لم ينتفعوا به، كما في قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ ﴾(٣)، وقال تعالى: ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ١٧٥ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ ﴾(٤)

وأما العلم الذي لا نفع فيه لذاته فكالسحر كما عبر عن ذلك القرآن حيث قال تعالى: ﴿ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡۚ وَلَقَدۡ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖۚ ﴾(٥)، وقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا

(١) ذكره الإمام النووي في رياض الصالحين، ونسبه إلى الإمام مسلم، ولفظ مسلم: (إذا مات الإنسان ...) الحديث فلعله خطأ من بعض النساخ والله اعلم. وقد تكلم الشيخ الألباني رحمه الله عن الحديث وتخريجه في كتابه: إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل ج٦ص ٢٨ولم ينبه على هذا اللفظ المشتهر .
(٢) ذكره ابن رجب في مقدمة كتابه: (فضل علم السلف على علم الخلف)، وبين طرقه.
(٣) سورة الجمعة، الآية ٥.
(٤) سورة الأعراف، الآيات /١٧٥-١٧٦
(٥) سورة البقرة، الآية ١٠٢

عِندَهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ﴾[2].

وعلى هذا فالمجتمع الذي ينتشر فيه خلق التعليم الشرعي يستمطر النفع والخير، ويدفع عن نفسه الضر والشر، وهذا يحقق هدف الإسلام نفسه والذي جاء بالنفع للناس، وجلب المنافع لهم ودفع المضار عنهم كما عبر عن ذلك ابن القيم عند حديثه عن الشريعة حيث قال عنها: (مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها ورحمة ومصالح كلها، وحكمة كلها، فكل مسألة خرجت من العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، فليست من الشريعة، وإن أدخلت منها بالتأويل، فالشريعة عدل الله بين عباده ورحمته بين خلقه) [3].

[٣] التعليم الشرعي تعليم بلاغ لا كتمان:

وذلك لأن المجتمع الفاعل العابد في حركة دائمة ودائبة في اكتشاف مكنونات الكون، وسبر غور الحياة، وفي رحلة متواصلة من البحث والتطور المستمر، وكل مرحلة من هذه المراحل تحتاج إلى العلم، فبلاغ العلم يساير حيوية المجتمع، وكتمانه يعطل ذلك، ويحرم عن أفراده خيرا كثيرا، ولذلك فقد رتب الإسلام على كاتم العلم عقوبة دنيوية وأخروية وهي اللعنة والطرد من رحمة الله،، كما قال

(١) سورة غافر، الآية ٨٣.
(٢) سورة الروم، الآية ٧.
(٣) أعلام الموقعين ج١ ص٣ ، ! &"#$%

تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾ [1]، والكتم قد يكون بمجرد إخفاء المعلومة وسترها مع مسيس الحاجة إليها وتوفر الداعي إلى إظهارها، وقد يكون بإزالتها ووضع شيء آخر موضعها.

ومن هنا فقد أخذ الله العهد على أهل الكتاب بأن يبينوا العلم، وحذر من الكتمان فكانت سنة تتبع ليس في أهل الكتاب فحسب، بل وفي كل حامل علم كما هو صريح قول قتادة رضي الله عنه في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ ﴾[2] حيث قال:

" هذا ميثاق أخذه الله على أهل العلم، فمن علم شيئًا فليُعلِّمه، وإياكم وكتمان العلم، فإن كتمان العلم هلكة، ولا يتكلفن رجل ما لا علم له به، فيخرج من دين الله، فيكون من المتكلفين"[3].

وفي حديث الفتن: " إذا لعن آخر هذه الأمة أولها فمن كان عنده علم فليظهره، فإن كاتم العلم يومئذ ككاتم ما أنزل الله على محمد"[4]

ولا ينتهي الأمر فيما يختص ببلاغ العلم هاهنا بل يتحصل ببلاغ العلم إلى الغير الأجر عند الخالق، ويحتسب له بلاغه من الصدقة التي يترتب عليها الجزاء

(١) سورة البقرة، الآية ١٥٩.
(٢) سورة آل عمران، الآية ١٨٧.
(٣) تفسير الطبري ج٤ص٢٨، طبعة دار الفكر.
(٤) رواه البخارى فى التاريخ الكبير ج ٣ / ص ١٩٧، من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنه.

الأخروي، كما عبر عن ذلك معاذ بن جبل رضي الله عنه بقوله:"... وَتَعْلِيمَهُ لِمَنْ لا يَعْلَمُهُ صَدَقَةٌ"(١).

[٤] التعليم الشرعي ينبني على المعلومة الصائبة والمؤكدة:

التعليم الشرعي ينبني على المعرفة الصحيحة، ويعتمد على المعلومات المؤكدة، لا يصلح فيه الكلام بغير علم لأنه من الجهل، كما لا يصلح فيه الإدلاء بمعلومات خاطئة، فإن الخطأ في المعلومة من شأنه تبديد الطاقات وإضاعة الأوقات والوصول إلى نهايات خاطئة، فإن المقدمة الخاطئة تقود إلى نتائج خاطئة أيضا، وهو من السوء والفحشاء التي يأمر بها الشيطان كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾(٢)، والسوء هو المعاصي الصغيرة، والفحشاء المعاصي الكبيرة، وعطف عليهما القول على الله بغير علم، وهو إلى الفحشاء أقرب.

ويدل على أهمية هذه السمة في التعليم الشرعي أن الله سبحانه وتعالى حذر

(١) وهو جزء من حديث طويل لمعاذ رضي الله عنه، ذكره ابن عبد البر في (جامع بيان العلم وفضله) حديث رقم ٢١٣، ومما ورد فيه: (تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ ؛ فَإِنَّ تَعْلِيمَهُ لِلَّهِ خَشْيَةٌ ، وَطَلَبَهُ عِبَادَةٌ ، وَمُذَاكَرَتَهُ تَسْبِيحٌ ، وَالْبَحْثَ عَنْهُ جِهَادٌ ، وَتَعْلِيمَهُ لِمَنْ لا يَعْلَمُهُ صَدَقَةٌ ، وَبَذْلَهُ لأَهْلِهِ قُرْبَةٌ ؛ لأَنَّهُ مَعَالِمُ الْحَلالِ وَالْحَرَامِ ، وَمَنَارُ سُبُلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَهُوَ الأُنْسُ فِي الْوَحْشَةِ ، وَالصَّاحِبُ فِي الْغُرْبَةِ ، وَالْمُحَدِّثُ فِي الْخَلْوَةِ ، وَالدَّلِيلُ عَلَى السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ ، وَالسِّلاحُ عَلَى الأَعْدَاءِ ، وَالزَّيْنُ عِنْدَ الأَخِلاءِ ، يَرْفَعُ اللَّهُ بِهِ أَقْوَامًا فَيَجْعَلُهُمْ فِي الْخَيْرِ قَادَةً وَأَئِمَّةً يُقْتَصُّ آثَارُهُمْ ، وَيُقْتَدَى بِأَفْعَالِهِمْ وَيُنْتَهَى إِلَى رَأْيِهِمْ ، تَرْغَبُ الْمَلائِكَةُ فِي خُلَّتِهِمْ وَبِأَجْنِحَتِهَا تَمْسَحُهُمْ يَسْتَغْفِرُ لَهُمْ كُلُّ رَطْبٍ وَيَابِسٍ ، وَحِيتَانُ الْبَحْرِ وَهَوَامُّهُ وَسِبَاعُ الْبَرِّ وَأَنْعَامُهُ ؛ لأَنَّ الْعِلْمَ حَيَاةُ الْقُلُوبِ مِنَ الْجَهْلِ وَمَصَابِيحُ الأَبْصَارِ مِنَ الظُّلَمِ يَبْلُغُ الْعَبْدُ بِالْعِلْمِ مَنَازِلَ الأَخْيَارِ وَالدَّرَجَاتِ الْعُلا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، وَالتَّفَكُّرُ فِيهِ يَعْدِلُ الصِّيَامَ ، وَمُدَارَسَتُهُ تَعْدِلُ الْقِيَامَ ، بِهِ تُوصَلُ الأَرْحَامُ ، وَبِهِ يُعْرَفُ الْحَلالُ مِنَ الْحَرَامِ ، وَهُوَ إِمَامُ الْعَمَلِ وَالْعَمَلُ تَابِعُهُ ، وَيُلْهَمُهُ السُّعَدَاءُ وَيُحْرَمُهُ الأَشْقِيَاءُ

(٢) سورة البقرة، الآية ١٦٩.

أنبياءه وهم خير البشر عن القول بغير علم كما في خطاب نوح عليه السلام: ﴿ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾[1].

وهذا هو رسول الله ﷺ يسأل عن أمر فيمتنع عن الإجابة فيه بغير علم، في صورة حية تطبيقية لمنهج التعليم الشرعي، بل حتى جبريل عليه السلام نفسه يمتنع عن الإجابة بغير علم، إلى أن يتحصل على العلم من العليم الخبير، فقد سأل رجل النبي ﷺ عن أي البلاد شر؟ فقال ﷺ: (لا أدري)، فسأل النبي جبريل عليه السلام، فقال: (لا أدري حتى أسأل ربي)، فمكث ما شاء الله له أن يمكث ثم أجابه بقوله: (يا محمد، إني سألت ربي فقال: أسواقها) [2].

وخرج أصحاب الرسول ﷺ فِي سَفَرٍ، فَأَصَابَ رَجُلًا مِنهم حَجَرٌ، فَشَجَّهُ فِي رَأْسِهِ، ثُمَّ احْتَلَمَ، فَسَأَلَ أَصْحَابَهُ، فَقَالَ: هَلْ تَجِدُونَ لِي رُخْصَةً فِي التَّيَمُّمِ؟ فَقَالُوا: مَا نَجِدُ لَكَ رُخْصَةً، وَأَنْتَ تَقْدِرُ عَلَى المَاءِ. فَاغْتَسَلَ، فَمَاتَ، فَلَمَّا قَدِمُوا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أُخْبِرَ بِذَلِكَ، فَقَالَ: (قَتَلُوهُ، قَتَلَهُمُ اللَّهُ، أَلَا سَأَلُوا إِذْ لَمْ يَعْلَمُوا، فَإِنَّمَا شِفَاءُ العِيِّ السُّؤَالُ، إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيهِ أَنْ يَتَيَمَّمَ، وَيَعْصِرَ- أَوْ: يَعْصِبَ) [3].

بهذه العبارة الواضحة ذات المدلول العميق يدعو الرسول ﷺ على من يجيب بغير علم: (قَتَلُوهُ، قَتَلَهُمُ اللَّهُ)، والقتل يناسب الجهل، كما أن العلم يناسبه الإحياء،

(١) سورة هود، الآية ٤٦.
(٢) رواه أحمد،حديث رقم ١٦٣٠٢، وصححه الألباني في: (صحيح الترغيب) (٣٢٥) .
(٣) رواه أبو داود في باب: المجروح يتيمم، حديث رقم ٥٢. قوله العِيِّ: بكسر العين هو الجهل والتحير في الكلام، قيل هو ضد البيان، ويقال شفاء العِيِّ السؤال، وإشفاؤه أن تصف له الدواء، ولا شك أن دواء الجهل العلم

فالعلم حياة العقول، وصحة الأبدان، ومعرفة الإله، وعدم العلم قتل العقول، وسقم الأبدان،وجهل الإله.

فإذا كانت هذه بعض سمات أخلاقيات التعليم الشرعي فلا شك أن المجتمعات اليوم في أشد لحظات حاجتها إليه، في وقت تعددت فيه العلوم والمعارف، وتعمقت فيه واتسعت مجالات كل علم، ومع ذلك فقد افتقدت البشرية أخلاقيات العلم، سخرت من التقنيات الحديثة في التدمير ما لم تسخره في عمارة الكون، واستفيد من التقدم التكنولوجي في سلب خيرات الأفراد والشعوب، بدلا من تمليكها لمن يحتاجها وتعليمه مهارات استخدامها، وعمدت الدول التي تمتلك الخبرات والإمكانات إلى إضعاف الدول الفقيرة، وتسخيرها ليزداد فقرها على حساب الحفاظ على مكانة الدول الغنية، وصنف العلم إلى مراتب منها الذي يكتم فلا ينشر وهو العلم الذي من شأنه تنوير العقل وبه يكتشف الكون وتسخر إمكاناته، ومنه العلم الذي ينشر فلا يكتم، وهو ما لا يترتب على نشره المساس بسيادة الأقوياء، ويبقي على حياة الأغبياء وقودا لغيرهم.

[٥] التعليم الشرعي له آداب: فمن أهم آدابه ما يلي:

١. الخلاص:

جميع ما ذكر من فضل العلم والعلماء إنما هو في حقّ العلماء العاملين الأبرار المتقين، الذين قصدوا به وجه الله الكريم، والزلفى لديه في جنات النعيم، لا من طلبه بسوء نية وخبث طوية، أو لأغراض دنيوية، من جاه أو مال أو مكاثرة في

الأتباع والطلاب. قال رسول الله ﷺ: (من تعلّم علماً مما يبتغَى به وجه الله عز وجل لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة)[١] يعني ريحها. وقال الإمام أحمد: "العلم لا يعدله شيء لمن صحّت نيته"، قالوا: كيف ذلك؟ قال: "ينوي رفع الجهلَ عن نفسه وعن غيره". وقال أبو يوسف: "أريدوا بعلمكم اللهَ تعالى، فإني لم أجلس مجلساً قطّ أنوي فيه أن أتواضع إلا لم أقم حتى أعلُوَهم، ولم أجلس مجلساً قط أنوي فيه أن أعلوهم إلا لم أقم حتى افتَضَح).

٢. العمل بالعلم ودوام المراقبة والخشية:

ومن ذلك دوام مراقبة الله تعالى في السر والعلن، وملازمة خشيته سبحانه، قال الإمام أحمد: "أصل العلم الخشية". قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (هتف العلم بالعمل، فإن أجابه وإلا ارتحل)[٢]. وقال الزهري: "إن للعلم غوائل، فمن غوائله أن يترك العمل به حتى يذهب، ومن غوائله النسيان، ومن غوائله الكذب فيه، وهو شر غوائله"[٣]. وسئل سفيان الثوري: طلب العلم أحبّ إليك أو العمل؟ فقال: "إنما يراد العلم للعمل، فلا تدع طلب العلم للعمل، ولا تدع العمل لطلب العلم"[٤].

(١) من حديث ابي هريرة رضي الله عنه أخرجه أحمد (٣٣٨/٢)، وأبو داود في كتاب العلم، باب: طلب العلم لغير الله (٣٦٦٤)، وابن ماجه في المقدمة، باب: الانتفاع بالعلم والعمل به (٢٨٥٢)، وصححه الحاكم (١٦٠/١)، والألباني في صحيح سنن أبي داود (٣١١٢ .

(٢).انظر: الجامع لأخلاق الراوي للخطيب البغدادي، واقتضاء العلم العمل لابن حبان (٣٥-٣٦).

(٣) انظر: جامع بيان العلم لابن عبد البر (١٠٧/١-١٠٨).

(٤) انظر: حلية الأولياء للأصفهاني (١٢/٧)..

٣. صيانة العلم:

وذلك بأن لا يتّخذه سلما يتوصل به إلى أغراض دنيوية وأطماع أرضية من جاه أو مال أو سمعة أو شهرة أو خِدمة أو تقدم على الأقران. قال الشافعي: "ودِدت أن الخلقَ تعلموا هذا العلم على أن لا ينسب إليّ حرف منه"(١).

الفصل الرابع

نماذج من محاولات المعاصرين لإقامة نظام أخلاقي عالمي

يقدم البحث في هذا الفصل نموذجين متباينين، من حيث معالجة قضية الأخلاق، ودور التعليم الشرعي في تعزيز أخلاق المجتمعات، أما النموذج الأول فهو مشروع {ركاز لتعزيز الأخلاق}، والذي انطلقت شرارته من الكويت، بقيادة المشرف العام على المشروع الدكتور محمد إبراهيم العوضي، الأستاذ المساعد في كلية التربية الأساسية قسم الدراسات الإسلامية الكويت، والمستشار الثقافي السابق في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

(١) انظر: تذكرة السامع والمتكلم للبغدادي (ص١٩)

وأما النموذج الثاني فبقيادة رجال الديانات المختلفة من كافة أنحاء العالم، والذين جمعنهم الحاجة الشديدة لوضع نظام عالمي للأخلاق، بعد أن وصل الأمر في العالم إلى مرحلة حرجة من البعد عن الأخلاق في كافة مناحي الحياة.

النموذج الأول: ركاز لتعزيز الأخلاق

يعتبر مشروع {ركاز لتعزيز الأخلاق} من المشروعات الإعلامية الرائدة والتي أخذت من التخطيط الإعلامي بقسط وافر، واستخدمت أدوات إعلامية مبتكرة، وتبوأت مكانها بدولة الكويت، وبعض دول الخليج، والأمل معقود على نضوج الفكرة، ليتجه المشروع بعد الانتهاء من دول الخليج إلى الدول العربية، لتصبح على مستوى الوطن العربي بحملة وشعار وفكرة واحدة، ثم يتجه المشروع من المحلية إلى العالمية، وهو قد بدأ الآن فعلا الخروج من الكويت إلى دول الخليلج، إلى دول أفريقية كالجزائر، وغير ذلك من الدول التي وصل إليها المشروع. والخطة الموضوعة أن يصل خير الحملة بإذن الله في عام ٢٠٢٠ م إلى كل بلدان العالم، من خلال { ركاز الأوربي}، ثم {ركاز الأمريكي}، ثم {ركاز الأسيوي} ... إلخ.

فكرة المشروع:

القيام بحملات إعلامية تستهدف شريحة الشباب من الجنسين، للتواصل معهم في أماكنهم، والعمل على معالجة الظواهر الشبابية، فالشباب هم الهدف الأول للمشروع ،أما بقية الفئات ففي مرحلة لاحقة.

بداية انطلاق المشروع:

كانت بداية مشروع {ركاز لتعزيز الأخلاق} في شهر سبتمبر من عام ٢٠٠٤ م، وقبلها كان التحضير للفكرة منذ خمس سنوات، بدأ العمل في المشروع في شكل حملات داخل مدينة الكويت، شملت هذه الحملات المساجد والأماكن العامة، ووضع لهذه الحملات شعار موحد، وظهر نجاح هذه الحملات، وكانت المقترحات لتعميم هذه ا المشروع على مستوى الدولة، فرسمت الفكرة وتحددت الرؤية ليعمم المشروع داخل الكويت وخارجها.

حول اسم المشروع:

اختيرت كلمة (ركاز) لتكون اسما للمشروع، وهي كلمة تعني الذهب والفضة، والنفيس من المعادن المدفونة داخل الأرض، أي هي الشيء الثابت والراسخ في الأرض. فرأى المؤسسون أن القيم والأخلاق شيء مهم ونفيس وهي كذلك - هو في نفاسته كالذهب، وراسخ على مر الأزمان والدهور، لذا كانت {ركاز لتعزيز الأخلاق}، في الكويت وبقية دول الخليج، في سبيل تعزيز الأخلاق ومعالجة الظواهر السالبة.

أهداف المشروع:

يهدف المشروع إلى تسويق الأخلاق وتعزيزها عبر الإعلام الموجه للشرائح المستهدفة من خلال حملات وبرامج إعلامية احترافية، لذا حددت الأهداف على النحو التالي:

١. تحفيز الأفراد والمجتمعات نحو تبني محمود الأخلاق وتطبيقها.
٢. تقديم النموذج الإنساني والمجتمعي لكل من ينشد الرقي الأخلاقي الذي يجمع مابين المثالية الحقة والواقعية الصادقة، والتطبيق العملي بمنهجية سليمة مستمدة من ديننا الحنيف.
٣. تحصين الإنسان والمجتمع في مواجهة كل ما يخالف الثوابت الأخلاقية.
٤. تحقيق التوازن ما بين الإيمان والسلوك من خلال تزكية النفس وتطهيرها.
٥. تعزيز طاقات الإنسان الأخلاقية من أقوال وأفعال وتوجيهها في مسارها الصحيح.

الحملات التي يقوم بها المشروع:

يتخذ للمشروع شعارا يختاره وفق آلية منظمة، هي المتبعة والمعمول بها في علم إدارة الحملات، وذلك من خلال عدد من الواجهات يمكن تلخيصها على النحو التالي:

[١] الخبرة التراكمية التي اكتسبها المشروع خلال فترة عمله في الأعوام الماضية.

[٢] الاتصال بالجماهير من خلال الموقع الالكتروني للمشروع والذي يضم منتدى، وكذلك الاتصال عبر مركز للاتصالات يتلقى المشروع من خلاله مقترحات الجماهير فيما يتعلق بالمشروع بصفة عامة، وبصفة خاصة مقترحاتهم لشعار الحملات والتي تتجدد وتتنوع حسب الزمان والمكان والمستهدفين.

[٣] توزيع استبيانات للطلبة في الجامعات والمعاهد للاطلاع على آرائهم ومقترحاتهم، بحيث يمكن من خلال هذه الاستبيانات قياس العمل.

[٤] جلسات العصف الذهني.

تضم الحملات عدة مناشط، تتجدد دوما، من عام إلى عام، ومن حملة إلى أخرى، ففيها المحاضرات التي تنظم في الأماكن العامة، والإصدارات السمعية والمقروءة، وكتابة القصص التي تخدم الحملة، وإصدار كتيبات بمثابة التأصيل العلمي للرسالة التي ترغب الحملة في إيصالها، ويتكون من: الحملة ومفهومها، المغزى من إقامتها، الإجابة عن الاستفسارات حول الرسالة المراد إيصالها من الحملة، علاوة على شريط يحتوي على ثلاثة محاور: الأول عبارة عن كلمات المشايخ والأكاديميين المتخصصين، والثاني عبارة عن نشيد معد خصيصاً للحملة، بالإضافة إلى مسرحية تعرض الحملة بأسلوب خفيف يصل للجمهور بسهولة .

يقول الأستاذ علي حسين العجمي، المدير التنفيذي لحملة {ركاز لتعزيز الأخلاق} عن سر نجاح الحملة:

" بالنسبة لسر نجاح الحملة بعد توفيق الله وكرمه ومنّه، فإنّ الشباب في الكويت وفي دول الخليج وكل الدول التي تفتح لنا قلوبها يبحث عمن يحاكيه، والوسيلة الجديدة التي تستطيع أن تصل إلى قلبه قبل أذنه، ففي الكويت تكاد تكون الوسائل الإعلامية ذات التواصل الشبابي قليلة، فأتى هذا المشروع بفضل الله - عز وجل- واستطاع تغطية جانب الشباب في المجمعات التجارية، فأتى إليهم هذا

المشروع في أماكن تجمعهم وتواجدهم، لإيصال قيمه معينة من خلال هدف خاص يترجم إلى شعار، والذي يترجم بعد ذلك إلى صورة، لتترجم بعد ذلك إلى وسائل إعلامية منتشرة في ربوع البلد كله، ولله الحمد لمسنا تجاوبا واضحا من قبل الجميع ولله الحمد)[1].

آخر الحملات:

آخر الحملات هي الحملة الحادية عشر، في الفترة من الخامس من مارس إلى ٣٠ مايو ٢٠١٠م، انطلقت في المدارس والجامعات والكليات والأسواق والمجمعات التجارية، بكل من (البحرين، جدة، الرياض، الدمام، قطر، الكويت، اليمين، الإمارات، عمان، الجزائر)، وكان شعار هذه الحملة:

حلو نعيش بمسؤولية

وقد صدر القرص المدمج (CD) والذي يضم توثيقا كاملا لهذه الحملة، وهو متوفر على الشبكة الالكترونية، ويحتوي على:

(١)الكتيب العملي للحملة.

(٢)دليل الحملة.

(٣)إعلان الحملة التلفزيوني

(٤)قصة الشباب

(١) انظر المقابلة الطويلة التي أجريت مع المدير التنفيذي في موقع (البوابة الالكترونية)، التابع لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت .

(٥)قصة البنات

(٦)أناشيد الحملة.

النموذج الثاني: مؤتمر برلمان الديانات العالمية بشيكاغو

وهو المؤتمر الثاني لبرلمان أديان العالم[١]، وقد انعقد في مدينة شيكاغو في الفترة من ٨/٢٨ إلى ١٩٩٣/٩/٥م.

شارك في المؤتمر خمسة آلاف عضو، وصدر عن المؤتمر (إعلان من أجل أخلاقيات عالمية) صيغت في مبدأين اثنين:

١- **مبدأ الإنسانية:** فكل كائنٍ بشري يجب أن يعُامَلَ بإنسانية.

(١) وذلك بعد قرن كامل من اجتماع المؤتمر الأول، وهو الاجتماع التأسيسي في شيكاغو أيضا في ١١ سبتمر ١٨٩٣م، و عقد اجتماع ثالث في كيب تاون بجنوب أفريقيا في عام ١٩٩٩، ورابع في برشلونة باسبانيا في ٨ يوليو ٢٠٠٤م. حدث الاجتماع الأول بينما كانت شيكاغو تستضيف المعرض العالمي، عندما قام بروتستانت من سكان المدينة بتنظيم هذا التجمع، الذي أطلق عليه اسم "برلمان الأديان العالمي"، بهدف دعوة مندوبين من ١٠ مجموعات دينية مختلفة من جميع أنحاء العالم إلى شيكاغو للتحدث عن معتقداتهم وشعائرهم الدينية الخاصة. وتحول الحدث، الذي دام حوالي أسبوعين، إلى حدث قومي مثير للاهتمام كمساق دراسي عام للجميع حول الدين المقارن. وحضره التجمع آلاف الناس، بما في ذلك مراسلو الصحف الذين نقلوا وقائع الجلسات من شواطئ أميركا الغربية إلى شواطئها الشرقية. والأمر الذي كان هاماً بنوع خاص هو الاهتمام الذي أولي للمتحدثين من غير المسيحيين، ولا سيما لشخصين من جنوب آسيا هما أستاذ هندوسي يدعى سوامي فيفكانادا، وراهب بوذي يدعى أنغاريكا ذارمابالا. وكان كل منهما يمثل ديناً يكاد الأميركيون لا يعرفون عنه شيئاً ولا يفهمونه. وترك الرجلان انطباعاً قوياً لدى الحشود التي سمعت كلمتيهما ولدى القراء الذين كانوا يتابعون التقارير الصحفية المنتظمة حول الحدث. وقد دعا كل منهما إلى الحوار والاحترام المتبادل بين أديان العالم. وأعلن فيفكانادا الذي تكلم في أول أيام البرلمان، أن الجرس الذي قرع في الجلسة الافتتاحية كان "الناقوس الذي أعلن موت التعصب." وفي حين أننا نعرف اليوم بالطبع أنه تفوه بأمل لم يتحقق حتى الآن رغم مرور قرن، إلا أن كلماته ما زالت قادرة على إلهاب مشاعر البعض والتأثير فيهم. وقد اختتم البرلمان أعماله بدون ترتيب خلف لمتابعة أفكاره.

من مقال بعنوان: (حركة التواصل بين الأديان)، منشور بموقع وزارة الخارجية الأمريكة (امريكا دوت غوف)، بتاريخ أول مايو ٢٠٠٨م، للكاتب غوستاف نايبور

٢- **وفي التطبيق:** في كل دينٍ وثقافةٍ مبدأٌ آخَرُ أو قاعدةٌ أخرى هي القاعدة الذهبية للتعايش بين الناس، وهي تقوم على التكافؤ أو التبادُل: فما لا ترغب أن يعاملك به الآخرون، عليك أن لا تُحاولهُ مع الآخرين.

استقبل العالم الإسلامي إعلان المؤتمر بتباين واضح، بين من قبل هذا الإعلان، ومن اقترح بعض التعديلات فيه، وبين من لم يقبله، والذي يهمنا هنا خدمة هذا المؤتمر لأغراض هذا البحث، وتقديمه نموذجا عمليا يعبر عن حاجة المجتمعات المختلفة الديانات والثقافات للأخلاق، وإمكانية قيام نظام أخلاقي عالمي بشكل ما يمكن أن ينقل العالم من الوهدة التي يعيش فيها، ومن هنا فيمكن إيراد أهم جزئية من الإعلان تتعلق بهذا البحث كما وردت في الإعلان، وهي الجزئية التي تبين حاجة العالم لنظام أخلاقي، وكيف يمكن صياغة مبادئ الخلق العالمي، وأثر التعاليم الدينية ودورها الهام في الأخلاق وذلك على النحو التالي:

مبادئ الخُلُق العالمي :

يشهد عالمنا اليوم أزمة أساسية في اقتصاده وبيئته وسياسته وذلك على مستوى العالم. إن الافتقار إلى رؤية كبرى، وتشابك المشاكل غير المعالجة وضعف بصيرة القيادة السياسية، وبشكل عام فإن ندرة الالتفات إلى المصلحة العامة والخير العام تتجلّى في كل صعيد: هي ذي الإجابات والحلول القديمة ما زالت تُطرح وبكثافة لمواجهة التحديات المستجدّة.

مئات الملايين من البشر يضافون إلى نظرائهم على المعمورة مِمَّن يعانون، وبنسبة تصاعدية، من البطالة والفقر والجوع والتفكك الأسري. ويبدو أن التطلّع إلى سلام دائم بين الشعوب يفلتُ منّا. فهناك تشنجّات بين الجنسين: الرجل والمرأة، وتشنجات بين الأجيال والفئات العمرية. الأطفال تموت، تَقتل وتُقتَل. مزيد من الدول يزلزلها فساد السياسة والاقتصاد، وإن صعوبة التعايش بسلام في مدننا في ازدياد بسبب صراعات اجتماعية وعرقية وإثنية، ناهيك عن سوء استخدام الأدوية، والجريمة المنظمة ومبدأ الفوضوية الثائر على النظام. وإنك ترى الجيران أيضاً ينتاب الخوف، بعضهم بعضاً. وهي ذي موارد كوكبنا تتعرض دون أي وازع للنهب. إن انهيار نظامنا البيئي يتهددنا جميعاً.

إننا نرى قادةً وممثّلي الديانات، مَرة بعد مرة يحرّضون على العنف والتعصُّب والحقد والتخويف من الآخر، بل إنهم يشجّعون على الصراعات الدموية العنيفة ويشرّعونها. وغالباً ما يُستغل الدين لأغراض السلطة والسياسة. إننا حقّاً شديدو الاشمئزاز.

نحن ندين هذه الآفات ونعلن ألاّ حاجة لها أصلاً. إن العنصر الأخلاقي الكائن في صميم التعاليم الدينية العالمية جدير بأن يطيح بمحنة العالم. طبعاً، إن العامل الأخلاقي لن يقدّم حلاً فورياً لجميع مشاكل العالم المتراكمة، ولكنه يوفّر حقاً أساساً مناقبياً من الفضائل والأخلاق العُليا، يصلح لتكوين نظام فردي وكوني أفضل، ويطرح رؤية تنأى بالنساء والرجال بعيداً عن اليأس مثلما تبعد الفوضى عن

المجتمع.

نحن أناس التزموا بمبادئ الديانات العالمية وسلوكياتها. إننا نؤكد أن هناك إجماعاً قائماً بين الأديان يمكن أن يصبح أساساً للخُلُق العالمي المنشود، بل يكفي الحدّ الأدنى من هكذا إجماع مبدئي على القيم الجامعة الموحّدة، والمعايير غير القابلة للإلغاء، والمواقف الأخلاقية الأصيلة.

خاتمة البحث:

في ختام هذا البحث يمكن ذكر النتائج التي توصل إليها على النحو التالي:

[١] مفهوم التعليم الشرعي مفهوم واسع، يشمل تعليم العلوم الشرعية: وهي العلوم التي لها صلة بالإسلام عقيدة وشريعة، فيدخل تحت هذا الصنف العلوم الغيبية المتعلقة بعالم الغيب من الجنة والنار والحساب، وتفاصيل ذلك، كما يدخل فيه علوم الشريعة التي تبين طبيعة الأحكام التشريعية من حيث الحلال والحرام والمباح. وهذا النوع من العلوم لا تكتسب عن طريق العقل، وإنما عن طريق الوحي والخبر الصادق من النبي ، وتسمى أيضًا بالعلوم النقلية.

كما يدخل في مفهوم التعليم الشرعي أيضا العلوم التطبيقية، وهي العلوم التي تعتمد على التجربة والملاحظة عن طريق الحواس، مثل علم الرياضيات والفيزياء والطب والهندسة وغيرها، ومادة هذه العلوم من عالم الشهادة، أي من الكون وما فيه من الجماد والنبات والماء والسهول والجبال. وهذا النوع من العلوم تكتسب عن طريق العقل واستقرائه للأشياء، فيكون حرًا طليقًا مع هذه العلوم، بشكل

لا يتصادم مع ثوابت العقيدة. فمصادر التلقي والتشريع في الإسلام يجمع بين جميع العلوم والمعارف، وفيها من الحقائق العلمية والتاريخية ما لم تسبق إليها البشرية من قبل، كما أن فيها كل فنون الأدب والبلاغة، وأخبار الأمم السابقة والغيبيات اللاحقة وغيرها من المعارف.

[٢] الخلق هو انعكاس لصورة الإنسان الباطنة وهي نفسه وأوصافها ومعانيها المختصةُ بها، بمنزلة الخَلْق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها.

[٣] تعددت تعريفات المجتمع، فمنها تعريفات عامة تنطبق على أي مجتمع إنساني مهما كانت عقيدته أو جنسه أو لونه وغير ذلك من الصفات الأخرى التي روعيت في تعريف المجتمعات، ومنها ما هو خاص بمجتمع معين.

[٤] إن نظام الأخلاق نظام مهم في حياة الناس بإطلاق، من حيث حفظ حقوق الأفراد والجماعات وأمنهم، ومن حيث عمارة الكون واستكشاف مكنوناته، أكد على ذلك الواقع التاريخي لمسيرة الحضارات عبر التاريخ، وواقع حياة الناس وعيشهم في المجتمعات المختلفة، ورعايتهم لنظام الأخلاق الإنساني مع اختلاف الزمان والمكان والأحوال، كما أكدت عليها الديانات السماوية، حيث تضمنتها تعاليم هذه الديانات، وممارسة الأنبياء وأتباع الرسل، وجاءت بالتعاليم التي تؤكد أهمية الأخلاق للأفراد والمجتمعات، وأشادت نظامها على القيم الإنسانية النبيلة، وربطتها بالوحي وحضت أتباعها على الأخذ بها ينالوا السعادة الكاملة في الدارين، وينالوا رضاء المولى عز وجل.

[٥] التعليم الشرعي يتسم بسمات عديدة من شأنها تعزيز الجانب الأخلاقي في المجتمع، والإسهام بصورة فاعلة فيه، والنهوض بتفكير أفراده، وتحسين حياتهم بحيث تربطهم بقيم عليا تظل على الدوام الهدف والغاية التي يسعى إليها أفراد المجتمع، فمن أهم هذه السمات: وحدة المصدر، تعليم فيه النفع والخير لكافة الناس، إنه تعليم بلاغ لا كتمان، إنه تعليم ينبني على المعلومة الصائبة والمؤكدة.

[٦] قدم البحث نموذجين يعبران عن محاولات المعاصرين في إقامة نظام أخلاقي عالمي، النموذج الأول: هو ركاز للأخلاق، والنموذج الثاني: هو مؤتمر برلمان الديانات العالمية بشيكاغو والمنعقد في الفترة من ٨/٢٨ إلى ١٩٩٣/٩/٥م.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات